

الفصل الثاني

الأداء العسكري الإسرائيلي خلال العدوان

الأداء العسكري الإسرائيلي خلال العدوان

العميد م. وليد سكينة*

مقدمة:

لكل حرب أهداف سياسية، تسعى الدول التي تبادر للحرب إلى تحقيقها باستعمال القوة العسكرية، لكسر إرادة الخصم أو تدميره وفرض النتائج السياسية المطلوبة. وللحرب عوامل سياسية مؤثرة، تشكل الدافع للحرب، وقد تفرض شكل العمل العسكري المناسب وحدود استعمال القوة وكيفية استخدامها.

وتأسيساً على ما تقدم سعت "إسرائيل" بالعمل العسكري إلى تحقيق أهداف سياسية من وراء عدوانها على قطاع غزة. كما أحاط بالعدوان وضع سياسي دولي وإقليمي وداخلي، ولدت منه الدوافع للعدوان من جهة، وحدد إطار العمل العسكري الممكن اعتماده وحدوده لتحقيق الأهداف من جهة أخرى.

ولفهم أداء "إسرائيل" العسكري خلال عدوانها على غزة، لا بد من معرفة الوضع السياسي المؤثر في هذه الحرب؛ الذي شكل الدافع لها، وحدد طبيعة سيرها وحدود عملها العسكري.

وفي هذا السياق حصل العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة في فترة زمنية شهدت استحقاقات سياسية مهمة لها انعكاس على مسيرة التسوية السلمية، تطلبت تهيئة الأجواء المناسبة لها؛ ويمكن تلخيصها في النقاط التالية:

1. انتهاء فترة التهدئة بين حماس و"إسرائيل" أواخر سنة 2008.
2. انتهاء ولاية الرئيس محمود عباس في 2009/1/9، وتلميح حركة حماس إلى رفضها التمديد له ليستمر في الحكم؛ مما قد ينسف أي مسعى لتسوية سلمية على المسار الفلسطيني في حال ضعفت سلطة عباس أو غاب عن المسرح السياسي.
3. تسلم الرئيس الأمريكي باراك أوباما الحكم في 2009/1/20، الأمر الذي يتطلب تمهيد الطريق أمامه لدفع المشروع الأمريكي في المنطقة.
4. استعداد "إسرائيل" لانتخابات نيابية في شباط / فبراير 2009 قد تأتي بحزب الليكود مما قد يعيق التسوية السلمية.

* عميد متقاعد وباحث متخصص في الشؤون العسكرية.

أولاً: الأهداف العسكرية والسياسية للعدوان الإسرائيلي:

تمثلت الأهداف العسكرية المعلنة في عدد من النقاط أبرزها:

1. ردع المقاومة ومنعها من إطلاق الصواريخ على البلدات والمدن الإسرائيلية.
2. تغيير الوضع في قطاع غزة؛ من بؤرة مقاومة، إلى حزام آمن لـ"إسرائيل". مما يتطلب تغيير السلطة في القطاع، وفرض حصار يحول دون إعادة بناء قوة الفصائل الفلسطينية المقاومة أو تزويدها بالسلاح.
3. استعادة الجندي الأسير جلعاد شاليط.

أما الأهداف العسكرية غير المعلنة، والتي تُستخلص من الوضع السياسي، ومن سير الأعمال العسكرية فهي:

1. القضاء على المقاومة في قطاع غزة وإسقاط القطاع عسكرياً.
 2. استعادة ثقة الجنود الإسرائيليين بقدرتهم على الحرب بعد حرب لبنان الثانية في صيف 2006، واختبار مستوى القطعات العسكرية بعد سنتين من التدريب المكثف، واستعادة هيبة "إسرائيل" ومكانتها عسكرياً.
- وعلى المستوى السياسي أعلنت "إسرائيل" أن هدفها تغيير الوضع في القطاع دون تحديد شكل التغيير بدقة. لكن المراقب لدوافع الحرب، وسير الأعمال العسكرية، والمباحثات السياسية يستنتج الأهداف التالية:

1. القضاء على سلطة حركة حماس وتكريس سلطة محمود عباس على القطاع؛ وتثبيتها بعد انتهاء ولايته في 2009/1/9.
2. تهيئة المسار الفلسطيني للتسوية السلمية بالقضاء على المقاومة، وبالتالي إضعاف موقف قوى الممانعة في لبنان وسورية وإيران.
3. استغلال نتائج الحرب لصالح حكومة إيهود أولمرت في الانتخابات القادمة، لمنع وصول حكومة تعرقل التسوية السلمية.
4. تمهيد الطريق وتهيئة الوضع الملائم أمام الإدارة الأمريكية الجديدة لدفع المشروع الأمريكي في الشرق الأوسط انطلاقاً من المسار الفلسطيني.

إن القضاء على المقاومة في غزة، لا يستهدف المسار الفلسطيني فقط، بل قوى الممانعة كافة في الشرق الأوسط؛ مما يدفع هذه القوى للتدخل بشكل أو بآخر. فالوضع السياسي والعسكري المتشكّل، والأهداف المرجوة من العدوان، رسمت حدوداً لاستعمال القوة العسكرية وآلية استخدامها. فـ”إسرائيل“ لم تكن طليقة اليدين باستعمال القوة العسكرية حتى حدها الأقصى ضدّ المدنيين. ومن هنا تمثلت القيود على عملها العسكري في النقاط التالية:

1. خشية ”إسرائيل“ من خسائر كبيرة في صفوف عسكريها؛ مما يترد سلباً على الوضع المعنوي للجيش، ويضعف هبة ”إسرائيل“ ومكانتها، وينعكس سلباً على وضع الحكومة الإسرائيلية في الانتخابات.
2. الخشية من التسبب بإحداث انتفاضة في الضفة الغربية؛ فالمطلوب القضاء على المقاومة لدى الشعب الفلسطيني، وليس تعميمها في الضفة لتسقط التسوية السلمية ومعها حكومة عباس، الأمر الذي يشكل تهديداً أكبر لأمن ”إسرائيل“.
3. مواجهة حرب على الجبهة الشمالية، لا تريدها ”إسرائيل“، لإدراكها حجم الدمار الذي سيحل بها ونتائج ذلك.
4. في أواخر الحرب أصبح للرأي العام العالمي دور ضاغط لتقييد عمل ”إسرائيل“.

ثانياً: العمليات والتكتيكات الإسرائيلية خلال العدوان:

1. جغرافية قطاع غزة:

يمتد قطاع غزة على شريط من الأرض بطول 35 كم، وعرض يتراوح بين 7-14 كم، بينما يبلغ عدد سكانه 1.5 مليون نسمة. ويقسم إلى ثلاثة قطاعات؛ الشمالي ويضمّ مدينة غزة ومخيم جباليا وبيت لاهيا وبيت حانون، ويبلغ عدد سكانه حوالي 800 ألف نسمة، وهو الأقرب إلى العمق الإسرائيلي، والمكان الأنسب لإطلاق الصواريخ ضدّ أهداف حيوية في ”إسرائيل“. ويضمّ القطاع الجنوبي مدينتي خان يونس ورفح المحاذية لمصر، وهو ممر تزويد القطاع بالسلاح، ويبلغ عدد سكانه حوالي 400 ألف نسمة. أما القطاع الأوسط، وهو الأضيّق، والأقلّ سكاناً، فيضم مجموعة من المخيمات؛ انظر الخريطة رقم (1).

يفتقر قطاع غزة إلى العمق الاستراتيجي؛ فكله ضمن مدى نيران المدفعية، وأرضه مسطحة خالية من المرتفعات، وهو أشبه بمدينة محاصرة، كون حدوده مع مصر مغلقة، و"إسرائيل" تحاصره بحراً. ويمكن إسقاطه إما من خلال اقتحامه عسكرياً واحتلال مدنه وتدمير المقاومة المدافعة عنه، أو من خلال حصاره وقطع مقومات الحياة فيه، كالغذاء والماء والدواء والطاقة.

الخريطة رقم (1): مدن قطاع غزة وحدوده وموقعه ضمن الإقليم¹



2. قرار العدوان وبدايته:

يصعب تحديد متى اتخذت "إسرائيل" قراراً بشن العدوان، لكن الإعداد للعملية، حسب مصادر إسرائيلية²، بدأ قبل نحو ستة أشهر من بدء العدوان. وعليه، فإن العدوان العسكري على قطاع غزة الذي بدأ يوم 2008/12/27 ليس سوى جزء من سلسلة الأعمال لإسقاط المقاومة في قطاع غزة، وتغيير الوضع السياسي والعسكري. فقطاع غزة لصغر مساحته وكثافة سكانه أشبه بمدينة تسقط باقتحامها عسكرياً أو بالحصار والاستنزاف. ومن هنا فإن الحصار التمويني المشدد على قطاع غزة الذي سبق العدوان بشهور، هو جزء مهم للعدوان، لإضعاف قدرة المجتمع المدني على الصمود. واستمرار الحصار بعد انتهاء العدوان، والابتزاز بشروط إعادة الإعمار، هو استمرار للعدوان بوسائل أخرى غير عسكرية لتحقيق مكاسب سياسية.

3. الاستراتيجية الإسرائيلية المعتمدة في العدوان:

لإدراك "إسرائيل" صعوبة اقتحام المدن للقضاء على المقاومة عسكرياً وتدابير ذلك، اعتمدت الخطة التالية: القضاء على قيادة المقاومة، وإضعاف بنيتها العسكرية ما أمكن بهدف إثارة حالة ضياع وفقدان سيطرة القيادة على الوضع في القطاع، وعلى البيئة العسكرية للمقاومة، وعلى إدارة شؤون المجتمع المدني؛ والضغط على المجتمع المدني لزرع اليأس وإضعاف صمود القطاع، وتهيئة المناخ لدخول قوات غير مقاومة، بهدف السيطرة على القطاع، بحيث تكون نواتها قوات الرئيس عباس مع قوات عربية أو دولية.

4. عملية التضليل الإسرائيلية:

لتحقيق المفاجأة نفذت "إسرائيل" إجراءات لإخفاء نواياها منها:

- قرار وزير الدفاع الإسرائيلي إيهود باراك بفتح المعابر جزئياً وتمير بعض التموين إلى قطاع غزة قبيل العدوان. مما أوحى بعدم التصميم على العمل العسكري.
- الإعلان عن عزم مجلس الوزراء المصغر مناقشة الوضع الأمني مع القادة العسكريين في اليوم التالي لبدء العدوان.
- تطمين بعض الجهات الرسمية العربية لقيادة حماس أن لا عدوان قريب على القطاع.

5. قوام القوات الإسرائيلية المشاركة بالعدوان:

شارك في العدوان كافة أنواع القوات البرية، والجوية، والبحرية.

أ. القوات البرية: تقدر القوات البرية الإسرائيلية المشاركة بحوالي 15-20 ألف جندي

مشكلين من:

- ألوية نخبة: جولاني Golani، جفعاتي Givati، لواء مظليين، ووحدات خاصة أخرى.

- ألوية نظامية: من الفرقة المدرعة في الجنوب، وفرقة الدفاع الإقليمي حول غزة، وقطعات دبابات استقدمت من المنطقة الوسطى والشمالية، وهندسة ومدفعية وحرب إلكترونية وكافة أسلحة الدعم، والتأمين.

- قوات احتياط: حيث تم استدعاء 6,500 جندي كمرحلة أولى، ثم أذن باستدعاء حوالي عشرة آلاف آخرين. لم تشارك جميعها في المعارك بشكل مباشر.

ب. القوات الجوية: استخدمت طائرات قاذفة مقاتلة من أنواع إف-16 (F-16) أو

إف-15 (F-15) وحوامات مختلفة وطيران مُسيّر للمراقبة والقصف حسب الحاجة. علماً أن معظم سلاح الجو الإسرائيلي كان مؤهلاً للاستخدام وذلك لهدوء الجبهات الأخرى.

ج. القوات البحرية: عدد من الزوارق والسفن البحرية لحصار قطاع غزة بحراً.

6. وقائع العدوان العسكري الإسرائيلي:

تم تنفيذ العملية العسكرية على مرحلتين؛ بدأت بعملية جوية ثم عملية برية. ولتحقيق المفاجأة، إضافة لعمليات التضليل، بدأت "إسرائيل" عدوانها بضربة جوية مباغته، قبل أن تستدعي الاحتياط وتحشد قواتها البرية.

أ. الضربات الجوية:

بدأت الساعة 11:33 يوم 2008/12/27 بضربة جوية كثيفة بقوام 60 طائرة إف-15 وإف-16 انطلقت من قواعد حتسور Hatzor، وحتسريم Hatzerim، ورامات ديفيد Ramat David. استهدفت المراكز الأمنية العسكرية ومقرات قيادة، مستخدمة مئة صاروخ خلال ثلاث دقائق. تلاها موجة ثانية الساعة 12:00 بقوام 40 طائرة قاذفة مقاتلة قصفت منصات الصواريخ المحضرة، والمحددة مسبقاً. بهدف تدمير المنصات، وقتل الطواقم البشرية التي تكون قد باشرت بالتحضير

الرد على الغارة الأولى. وتتابع الغارات على أهداف مختلفة بقوام مختلف من الطائرات.

استهدفت العملية الجوية، التي استمرت حتى بدء العملية البرية في 2009/1/3، قيادة المقاومة؛ فدمرت مراكز الحكومة، ومنازل القادة، ودوائر الحكومة، محاولة القضاء على قيادة المقاومة. كما استهدفت البنية العسكرية للمقاومة؛ فقصفت قواعد إطلاق الصواريخ، ومراكز المقاومين، ومخازن العتاد، وما تعتقده "إسرائيل" مخازن أسلحة أو مخابئ للمقاتلين. واستهدفت محور فيلادلفي Philadelphi Corridor المحاذي للحدود مع مصر، بهدف تدمير الأنفاق التي تزود القطاع بالأسلحة أو ببعض مستلزمات الصمود، مستخدمة قنابل جي بي يو 39 (GBU-39) المعدة لخرق التحصينات. ولما لم تنل من المقاومة، ونفذ بنك أهدافها؛ استهدفت مقومات صمود المجتمع المدني بقصف محطات محروقات ومخازن تموين وغيرها، وتعمدت ارتكاب مجازر يومية بالمدنيين، لزرع الرعب في نفوسهم وإضعاف صمودهم. واستخدمت قنابل الفسفور الأبيض (White Phosphorus (P4)، المعروف باسم Willy Bete، ومتفجرات المعدن الكثيف الخامل (الدايم) (Dense Inert Metal Explosive (DIME)، والقنابل الفراغية Thermobaric.

ب. العملية البرية:

مستفيدة من العملية الجوية، استنفرت "إسرائيل" قواتها البرية، واستدعت قسماً من الاحتياط؛ وحركت ألويتها لتقوم بعملية حشد حول قطاع غزة. وفي 2009/1/3 بدأت بالهجوم براً على قطاع غزة، بدعم من القوات الجوية والبحرية. حيث تمكنت من السيطرة على المناطق الخالية من التجمعات السكانية، مستفيدة من تفوقها الكبير بالقوى والأسلحة، ومحدودية تسليح المقاومة لإحكام الحصار حول المدن.

دخلت القوى البرية الإسرائيلية المدرعة إلى ما كان مستعمرة نتساريم Netzarim جنوبي مدينة غزة، لفصل القطاع إلى شطرين، وحصار مدينة غزة من الجنوب.

اتجاهات تقدم وعمل القوات:

- تقدم لواء مظليين إلى شمالي وغربي بيت لاهيا في شمال غرب القطاع.
- تقدم لواء جولاني إلى شرقي بيت حانون ومخيم جباليا.

- دخول لواء مدرع إلى مكان مستعمرة نتساريم.
 - عمل اللواء جفعاتي في جنوبي القطاع باتجاه مطار رفح ومدينة عسقلان.
 - فضلاً عن قوى أخرى من الاحتياط ومن قوات الدعم والتأمين.
- وبذلك فقد أحكم الجيش الإسرائيلي الطوق حول القسم الشمالي من القطاع. وأصبحت قواته البرية على تماس مع كامل محيط التجمعات المدنية تقريباً. وحاول تحقيق خرق بين مدينة غزة ومخيم جباليا؛ لفصل مخيم جباليا وبيت لاهيا وبيت حانون عن مدينة غزة، أملاً بسقوط بعض هذه التجمعات. فركز هجومه على الجهة الشرقية لمخيم جباليا، ولما فشل حاول الهجوم من الغرب من جهة البحر، لعله يفلح ولكنه لم يتمكن. تكبد الجيش الإسرائيلي خسائر كبيرة نتيجة محاولته الاقتحام هذه، فأدرك جيداً صعوبة دخول المدن، ومدى استعداد المقاومة لهذه المواجهة.

بعدها اقتصر عمل الجيش الإسرائيلي على الضغط بالنيران على تخوم التجمعات السكانية عن بعد، مستفيداً من مدى أسلحته، مع تقدم محدود، موحياً بعزمه على الاقتحام، ثم يتراجع إلى مواقعه، ليعيد الكرة في اليوم الثاني. كما استهدف المدنيين بارتكاب المجازر، كاستهداف مدارس وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (الأونروا) United Nations Relief and Works Agency for Palestine Refugees in the Near East (UNRWA)، والتي تضم تجمعات للنازحين، موقعاً خسائر بشرية كبيرة، بهدف كسر إرادة الصمود لدى المجتمع المدني، وتحويله إلى عنصر ضغط على قيادة المقاومة لتقديم التنازلات أو الاستسلام.

وفي 2009/1/7 أعلن الجيش الإسرائيلي عن بدء المرحلة الثالثة حسب تصنيفه للمراحل، معلناً نيته اقتحام المدن. إلا أنه أمام صعوبة ذلك، وأمام تهديدات صدرت من الجبهة الشمالية مع لبنان، اكتفى بتكثيف العمل الجوي لتدمير المنطقة المحاذية للحدود المصرية من مدينة رفح؛ لإيجاد منطقة عازلة تمنع تهريب السلاح، مع استمراره بالضغط على المدن كافة وعلى المجتمع المدني.

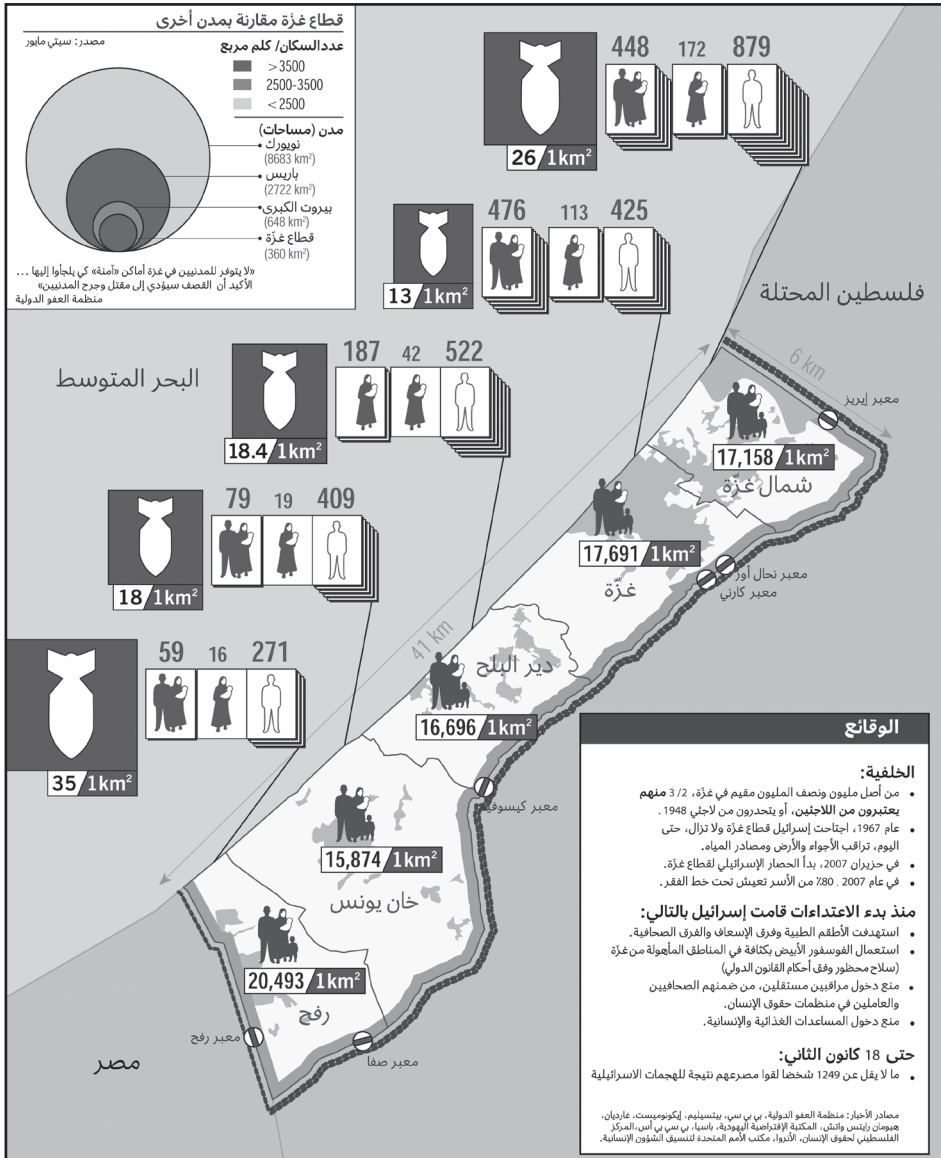
في هذه المرحلة تقدم الجيش الإسرائيلي بضع مئات من الأمتار في شرقي مخيم جباليا، ولاحقاً إلى تل الهوى جنوبي مدينة غزة، وثم إلى حي السلام في مدينة رفح؛ حيث استقر لساعات ثم انسحب خارج المنطقة بعد تدميرها. وفي 2009/1/17 أعلن وقف إطلاق النار من طرف واحد.

ج. حجم العمل العسكري لسلاح الجو الإسرائيلي:

ذكر ضابط رفيع المستوى في سلاح الجو الإسرائيلي، أشرف على الحرب الأخيرة في غزة، أن المروحيات المقاتلة قامت بـ 1,500 غارة على أهداف في القطاع³، وأطلقت ألف صاروخ من نوع هيل فاير Hellfire وعوريف Orev⁴. وأشار الكاتب في جريدة يديعوت أchronoth Yedioth Nahum Barnea إلى أن سلاح الجو الإسرائيلي نفذ خلال العملية ثلاثة آلاف طلعة جوية هجومية⁵.

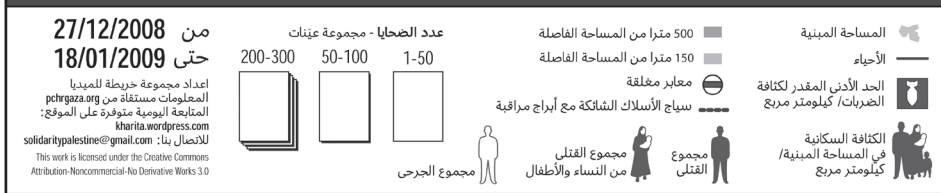
وجاء في تقرير لأول بعثة طبية بريطانية مستقلة، وصلت إلى قطاع غزة بعد انتهاء الحرب، أن الجيش الإسرائيلي ألقى على قطاع غزة خلال الفترة الممتدة بين 2008/12/27 و2009/1/18، نحو 1.5 مليون طن من المتفجرات، وذلك على مساحة لا تتجاوز 35 كم طولاً و14 كم عرضاً، تؤوي ما يزيد على 1.5 مليون إنسان، أي بمعدل طن من المتفجرات للفرد الواحد⁶. وحسب معطيات المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان، فقد بلغت كثافة الضربات الإسرائيلية في محافظة شمال قطاع غزة أكثر من 26 ضربة / كم²، وفي محافظة غزة 13 ضربة / كم²، وفي محافظة دير البلح بلغت النسبة 18.4 ضربة / كم²، أما في محافظة خان يونس فقد بلغت 18 ضربة / كم²، وفي محافظة رفح كانت النسبة 35 ضربة / كم²؛ انظر الخريطة رقم (2).

الخريطة رقم (2): كثافة الضربات الإسرائيلية وتوزيع الشهداء على مناطق قطاع غزة⁷



خريطة كثافة القصف والضحايا

اعتداء إسرائيل على غزة



ثالثاً: النتائج والخسائر العسكرية الإسرائيلية جاء العدوان:

من الصعب تحديد الخسائر الإسرائيلية بدقة، لتعمد العدو الإسرائيلي إخفاء خسائره، لأسباب عدة منها:

- يريد انتصاراً، ولو زائفاً، لاستعادة ثقة الجنود والشعب بقدرة الجيش بعد فشله في حرب تموز/ يوليو 2006.
- يريد انتصاراً نظيفاً لاستغلاله انتخابياً لصالح الحكومة.

لذلك منعت الحكومة الإسرائيلية وسائل الإعلام العالمية من التواجد ميدانياً لنقل حقائق ما يحصل، كما سحبت أجهزة الهاتف الخلوية من الجنود، لمنعهم من نقل الوقائع إلى ذويهم، واتخذت تدابير عدة لإخفاء حقائق ما يحصل. وتولت نجمة داود الحمراء إذاعة أعداد عشرات من الإصابات بحوادث الطرق في فترة الحرب، إخفاءً لحقيقة الإصابات في المعارك.

اعترفت "إسرائيل" بسقوط حوالي 13 قتيلًا، وبضع عشرات من الجرحى⁸. فيما أعلنت المقاومة عن قتل عشرات الجنود الإسرائيليين بما يقارب المائة، وتدمير وإعطاب حوالي 50 دبابة، وجرافة واحدة، وإسقاط طائرة مسيرة، وإصابة أربع مروحيات⁹.

لقد سعت "إسرائيل" منذ البدء إلى تفادي الخسائر، فلم تدفع عسكريها للالتحام مع المقاومة إلا نادراً، ك محاولة استطلاع لاختبار مدى قوة المقاومة. بل اعتمدت الذراع الطويلة من خلال الاشتباك عن بعد خارج مدى أسلحة المقاومة. وبالإضافة إلى ضعف تسلح المقاومة، فمن الطبيعي أن تكون الخسائر الإسرائيلية محدودة في العديد والعتاد.

رابعاً: تقييم الأداء العسكري الإسرائيلي خلال العدوان:

اعتمدت "إسرائيل" في عدوانها على ألتها العسكرية ومنظومات أسلحتها المتفوقة نوعياً؛ لتدمير الأهداف المكتشفة أو المتوقعة، مستخدمة الرمي عن بعد دون زج قواتها البرية بمعارك التحام مع المقاومة، تفادياً للخسائر. وركزت على استخدام الطيران المقاتل القاذف وحوامات الدعم الناري والطيران المسير لمعالجة أي هدف يكتشف فوراً،

مستفيدة من عناصر منظومة الشبكة المركزية التي تعتمدها، والتي تجمع بين وسائل الاستطلاع واكتشاف الأهداف، ووسائل التأثير من مختلف الأسلحة حسب وضعها ووضع الهدف، ومقرات القيادة التي تحلل الأهداف مستعينة بأجهزة الكمبيوتر وتتخذ القرار.

واعتمد الجيش الإسرائيلي على المراقبة الجوية المستمرة، ووسائل الاستطلاع الأرضية بمختلف أشكالها من مراقبة أو تنصت وغيرها، وعلى العملاء داخل القطاع؛ لاكتشاف وتحديد الأهداف، ليتم معالجتها سريعاً واتخاذ القرار بمقرات القيادة، والتأثير الفوري عليها بالوسائل المناسبة.

أما في عمله البري فاعتمد الجيش الإسرائيلي الاشتباك عن مسافة خارج مدى أسلحة المقاومة، ليتمكن من التأثير بأسلحته المتفوقة، وتفادي تأثير المقاومة، وبالتالي تفادي الخسائر. واعتمد الجيش على التهويل باقتحام المدن بتكرار عمليات التصعيد بالقصف، والتقدم قليلاً إيهاماً أنه سيدخل المدن، ثم يتراجع إلى مواقعه السابقة. وهذه عملية ضغط على معنويات المقاومين والمجتمع المدني وأعصابهم وقدرتهم على الصمود؛ لدفعهم للرضوخ، وليست عملية اقتحام وتدمير للمقاومة لحسم الحرب بالقوة، ورسم نتائجها. كما حاول استطلاع قدرة المقاومة على المواجهة بمحاولته فصل مخيم جباليا عن مدينة غزة، ولما أدرك استعداد المقاومة للمواجهة؛ لم يكرر ذلك.

وفي الأيام الأخيرة، بعد أن ضعفت المقاومة في الستار الخارجي لبعض الأحياء، نتيجة الإنهك والدمار؛ نفذ الجيش الإسرائيلي بعض الاختراقات لمسافات محدودة، ثم عاد إلى مواقعه السابقة.

ونخلص من ذلك إلى ما يلي:

1. لم تنجح "إسرائيل" في تحقيق أهداف العملية بالعمل الجوي فقط.
2. لم تنجح في كسر صمود المقاومة بالمناورة البرية، أو بالضغط والاستنزاف والحرب النفسية.
3. لم تتجرأ على تصعيد العمل العسكري البري، خشية الخسائر بصفوف جيشها، وخوفاً من تدخل الجبهة الشمالية التي ما زال عاجزاً عن مواجهة نتائجها.
4. لما فشلت في تغيير الوضع في قطاع غزة أصبح هدفها تحقيق ترتيبات أمنية على

الحدود مع مصر تحول دون إعادة تسليح القطاع. فأبرمت اتفاقاً مع الولايات المتحدة؛ لتسخر إمكانيات الأخيرة وحلف شمال الأطلسي (الناتو) North Atlantic Treaty Organisation (NATO)، ودولاً عربية لهذه المهمة.

أثبتت حرب غزة، على شاكلة حرب تموز/ يوليو 2006، استمرار اعتماد "إسرائيل" على الآلة المتفوقة نوعياً، لتحقيق التفوق على قوى نظامية كلاسيكية التسليح والتكتيك؛ لكنها عاجزة عن تحقيق النصر على المقاومة وتكتيكاتها في القتال. وما زالت القوات البرية تخشى كسب المعارك بالجندي المتفوق والمستعد للتضحية؛ مما يؤكد نجاح خيار المقاومة وتكتيكها بمواجهة "إسرائيل".

خامساً: تداعيات العدوان على الجانب الإسرائيلي:

رأى وزير الدفاع الإسرائيلي باراك، أن "إسرائيل" حققت الردع في هذا العدوان، وطلب وقف العمليات، لأن استمرارها لا يحقق أهدافاً أخرى سوى زيادة الخسائر ومزيد من الضغط الدولي¹⁰. كما اعتبرت القيادة الإسرائيلية أنها استعادت ثقة الشعب بالجيش وبقيادته لإدارتها الحرب، بعد فقدانها لها في حرب تموز/ يوليو 2006. كما اختبرت قيادة الجيش، مستوى أداء تشكيلاتها ميدانياً، بعد إعادة تأهيلها، خاصة أنها أشركت قطعات من مختلف المناطق؛ الشمالية والوسطى والجنوبية.

والواقع أن استعادة "إسرائيل" لقدرة الردع زائفة وإعلامية، هدفها التأثير في المجتمع الإسرائيلي والرأي العام أكثر من كونها واقعية. فوزير الدفاع أقر بعدم جدوى استمرار العدوان، لعجزه عن تحقيق أي أهداف. وخفضت الحكومة الإسرائيلية أهداف العدوان من تغيير الوضع في قطاع غزة ووقف الصواريخ، إلى الحصول على ترتيبات أمنية لمنع تهريب السلاح¹¹. فضلاً عن استمرار خشيتها من حرب على الجبهة الشمالية.

ف"إسرائيل" لم تدخل حرباً ضد قوى مكافئة لها، ولو جزئياً، بالسلاح لخوض معارك فعلية تحدد قدرة وكفاءة القوات الإسرائيلية. بل خاضت حرباً اعتمدت قوة نيران كبيرة عن بعد ضد المقاومة، دون الالتحام معها لاقتلاعها من أماكنها. وبهذا أظهرت الحرب عدم قدرة "إسرائيل"، وتفاديها اقتحام المدن أو القرى والمحميات المحصنة، المعدة جيداً للدفاع، إلا بعد تدميرها أن استطاعت ذلك.

كما ظهر انكشاف جبهتها الداخلية لصواريخ المقاومة، وعجزها عن حماية هذه الجبهة، علاوة على خوفها وتفاديها التورط في حرب مع الجبهة الشمالية؛ لإدراكها سلبيات هذه المواجهة. ولجأت "إسرائيل" إلى مواجهة المقاومة من خلال سياسية الحصار الميداني، والاستعانة بالدول الكبرى الحليفة وبدول عربية لحصار وعزل المقاومة والضغط عليها. أي نقلت مسؤولية المواجهة مع المقاومة عن عاتقها إلى قوى دولية وعربية. وخلاصة القول إن الجيش الإسرائيلي لم يتخطَّ هزيمة حرب تموز/ يوليو 2006، وينتقل إلى الوضع الذي يمكنه من مواجهة المقاومة ميدانياً والقضاء عليها.

تسعى "إسرائيل" لبناء درع صاروخي لحماية جبهتها الداخلية، ومنظومة لصدّ الصواريخ بعيدة المدى؛ لتحسن أداء قواتها. لكنها ما تزال ضعيفة في استخدام قواتها البرية في معارك التحام. وهذه تتطلب معالجة الوضع النفسي والاجتماعي للجنود والمجتمع، ورفع مستوى التدريب للاحتياط إلى مستوى ألوية النخبة، أو انتظار اختراع أسلحة جديدة تساعد في حلّ هذه المشكلة.

كان يفترض أن تزيد "إسرائيل" ألوية النخبة المشاة بعد حرب تموز/ يوليو 2006، وترفع من مستوى أداء قوات الاحتياط؛ لمواجهة المقاومة وتطهير أعشاشها، لكن حرب غزة لم تثبت ذلك.

هوامش الفصل الثاني

¹ انظر الخريطة في موقع: http://en.wikipedia.org/wiki/File:Gaza_Strip_map2.svg

² هآرتس، 2008/12/28.

³ موقع دنيا الوطن، 2009/2/9، انظر:

<http://www.alwatanvoice.com/arabic/content-134983.html>

⁴ Haaretz, 9/2/2009, see:

<http://www.haaretz.com/hasen/spages/1062700.html>

⁵ جريدة فلسطين، غزة، 2009/2/21.

⁶ جريدة الراي، الكويت، 2009/2/4.

⁷ WordPress.com, see:

http://kharita.files.wordpress.com/2009/01/gaza_map_180109arab2.pdf

وتجدر الإشارة إلى أن أعداد الشهداء المبينة في الخريطة أقل من الإحصائية الرسمية التي صدرت بعد انتهاء العدوان واعتمدها هذه الدراسة.

⁸ انظر موقع جهاز الأمن العام (الشاباك)، في:

<http://www.shabak.gov.il/arabic/publications/Pages/tlulmas-ar.aspx>

⁹ موقع المركز الفلسطيني للإعلام، 2009/1/18، انظر:

<http://www.palestine-info.info/ar/default.aspx?xyz=U6Qq7k%2bcOd87MDI46m9UxJEpMO%2bi1s7xAFoFXEL%2byIwC%2foGafbx3VMrL42ShbapybCtK5Rdfm20MNHOb7NzEISp9IaMYnr0mVQruh2YiS3jgvGQs8DNSng0xfXyC8PnFn562G9KBbw%3d>

¹⁰ هآرتس، 2009/1/14.

¹¹ هآرتس، 2009/1/28.